منهج الإمام الذهبي
في التعامل مع جرح الأقران

"al-Imām al-Dhahabī's Methodology in Dealing with the Aqrān Criticism"

محمود أحمد رشيد، الدكتور*

Abstract: This research focuses on the methodology of Imām al-Dhahabī (d. 748/1374) dealing with the issue of the Aqrān criticism through his comments on the biography of the narrators subject of criticism. The research has concluded that the Imām used to give importance to mention the reason of criticism in the case of the Aqrān. If the criticism were out of envy, competition, or loyalty to the school of thought the Imam would reject such criticism. However if the criticism was coming from a just and fair scholar, he accepted it. In addition, the research concluded five rules that al-Dhahabī considered in dealing with the events occurred with the companions of the Prophet PBUH. These rules form the methodology of the Sunni School of thought. Finally, the research concluded sixteen more rules which al-Dhahabī followed in the Aqrān criticism with other than the companions. These rules forms ethical code which helps in the science of Islamic morals in general and also serves the science of Jarh and Ta'dīl in particular.

Citation: Mahmoud Ahmad Rasheed, "Manhaj al-Imām al-Zahabī fī al-ta'āmul ma'a jarh al-akrān" (in Arabic), *Hadis Tetkikleri Dergisi* (*HTD*), VI/2, 2008, pp. 81-100.

Key Words: al-Zahabī, The Aqrān, al-Mudabbaj, al-Jarh wa al-Ta'dīl, Hadith, the science of Rijāl. Naqd al-hadīth.

١ - المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آل بيته المطهرين، ورضي الله عن الصحابة الغر الميامين، وعن أزواجه أمهات المؤمنين، وبعد:

خص الله الأمة المحمدية بعلوم الحديث النبوي الشريف رواية ودراية على سائر الأمم، وقد شيد الحفاظ بجهود دؤوبة ومخلص قواعد علمية لنقد الراوي والمروي، ووضعوا ضوابط وقواعد ومراتب لجرح الرواة وتعديلهم، كان منها وضع ضوابط لقبول أو رد جرح

* محاضر متفرغ- قسم أصول الدين، الجامعة الأردنية، mahmoudrasheed@gmail.com

الأقران لأقرانهم، فإن كان الجرح صادرا من إمام منصف غير متشدد قبل هذا الجرح، وإن كان الجرح صادرا عن تنافس أو تحاسد أو تعصب مذهبي عقدي أو فقهي، رد هذا الجرح.

هذا البحث يحاول الكشف عن منهجية الإمام الذهبي رحمه الله في التعامل مع جرح الأقران، حيث كان يعقب على تراجم الرواة الذين وقع بينهم جرح أقران بتعقيبات علمية، تشكل منهجا علميا يستحق إفراده ببحث علمي مستقل. وقد جاء هذا البحث مبينا لمنهج الإمام الذهبي في ذلك.

٢ - معنى القرين وأقسامه:

أ- معنى القرين لغةً واصطلاحا:

قال ابن فارس: "القاف والراء والنون أصلان صحيحان أحدهما يدل على جمع شيء لشيء...، القرن: مثلك في السن...، والقرينة: نفس الإنسان كأنهما قد تقارنا...، وقرينة الرجل:امرأته"[١] وقال ابن منظور:"و القَرِينُ: المُصاحِبُ ..وفي الحديث: ما من أَحدٍ إِلاَّ وُكِّلَ به قَرِينُه أَي مصاحبه من الملائكة والشَّياطين، والقرن: الأمة تأتي بعد الأمةُ ...، فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم، وقال الأزهري: الذي يقع عندي والله أعلم أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من أهل العلم قلت السنون أو كثرت".[٢] وقال الجوهري: "والقرن: مثلك في السن، تقول هو على قرني أي على سني، والقرن من الناس: أهل زمان واحد، والقَرِينُ: الصاحب و قَرينةُ الرجل امرأته"[٣] نخلص مما سبق أن اللغويين يتفقون على معنى واحد للقرين وهو: الصاحب، والغالب في العرف التقارب في سن الأقران، وقد يجمع بين الأقران السن أو طلب العلم أو المهنة أو البلد أو الطبقة أو الشيوخ أو التخصص.

واصطلاحاً: اتفقت كلمة علماء مصطلح الحديث على تعريف الأقران بأنهم: الرواة

١ أحمد بن فارس بن زكريا، معجم *مقاييس اللغة*، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، بيروت دار الجليل، ١٤١١/١٩٩١، الطبعة الأولى، المجلد الخامس، ص. ٧٦؛ وانظر علي بن إسماعيل بن سيده (ت. ٤٥٨ هـ)، *المحكم والمحيط الأعظم*، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت دار الكتب العلمية، ١٤٢١/٢٠٠٠، الطبعة الأولى، المجلد السادس، ص. ٣٦١-٣٦٨.

٢ محمد بن مكرم بن منظور، *لسان العرب*، بيروت دار صادر، بلا تاريخ ولا طبعة، المجلد الثالث عشر، ص. ٣٣٣-٣٤٢.

٣ إسماعيل بن حماد الجوهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، بيروت دار العلم للملايين، ١٤٠٤/١٩٨٤، الطبعة الثالثة، المجلد السادس، ص. ٢١٨٠-٢١٨١.

المتقاربون في السن والإسناد أو اللقي.[٤] وهذا التعريف هو تعريف الطبقة. وقال العراقي في ألفيته:

والقرنا من استووا في السن والإسناد والسن غالبا، وقسمين أعدد

مدبجا وهو إذا كل أخذ عن آخر عن آخر وغيره انفرد فذ[٥]

والمقصود بالتقارب بالإسناد أو اللقي: الأخذ عن الشيوخ.

والعجيب أن كتب المصطلح نصت على أن الحاكم ربما اكتفى في تعريف الأقران بالتقارب بالإسناد دون السن، ومن ذلك ما نص عليه السيوطي وغيره، فقالوا: "هم المتقاربون في السنن والإسناد وربما اكتفى الحاكم بالإسناد"،[٦] مع أن الحاكم نص في تعريفه للطبقة على السن والإسناد، قال الحاكم رحمه الله: "القرينان إذا تقارب سنهما وإسنادهما".[٧]

ب - أقسام رواية الأقران

تقسم رواية الأقران إلى قسمين؛ الأول: المدبج: بضم الميم وفتح الدال المهملة وتشديد الباء. اسم مفعول من الفعل الرباعي (دبج)، الدبج: النقش والتزيين فارسي معرب، والتدبيج: التزيين، وديباجتا الوجه: الخدان، وديباجة الوجه: حسن بشرته.[٨] واصطلاحا: أن يروي القرينان كل واحد من هما عن الآخر،[٩] ومثاله: رواية عائشة عن أبي هريرة ورويته هو عنها، ورواية عروة عن سعيد بن المسيب ورويته هو عنه. ومالك عن الأوزاعي والأوزاعي عنه، وأحمد بن حنبل عن ابن المديني وابن المديني عنه. الثاني: غير المدبج وهي:"أن ينفرد أحد

٤ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت. ١٥٠٥/٩١١)، *تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي*، تحقيق محمد أيمن الشبراوي، القاهرة دار الحديث، ٢٠٠٢/١٤٢٣، ص. ٥١٠.

٥ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت. ٩٠٢ ه)، *فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي*، ضبط وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٩٦٨، الطبعة الثانية، المجلد الثالث، ص. ١٧٤-١٧٥.

٦ السيوطي، *تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي*، ص. ٥١٠.

٧ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، *كتاب معرفة علوم الحديث*، تحقيق السيد معظم حسين، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٩٧٧/١٣٩٧، الطبعة الثانية، ص. ٢١٥.

٨ علي بن إسماعيل بن سيده (ت. ٤٥٨ ه)، *المحكم والمحيط الأعظم*، ص. ٣٤٦-٣٤٧. انظر أحمد بن فارس بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة*، ص. ٣١٢، وانظر محمد بن مكرم بن منظور، *لسان العرب*، ص. ٢٦٢.

٩ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت. ١٤٤٨/٨٥٢)، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق د.عبد السميع الأنيس وعصام الحرستاني، عمان دار عمار، ١٩٩٩/١٤١٩، الطبعة الأولى، ص. ٩١

القرينين بالرواية عن الآخر".[١٠] ومثاله: قول الحاكم: "مسعر وسليمان التيمي قرينان إلا أني لا أحفظ لمسعر عنه رواية...، زائدة بن قدامة وزهير بن معاوية قرينان إلا أني لا أحفظ لزهير عنه رواية".[١١]

٣ - فوائد معرفة رواية الأقران والمدبج، وإيجابيات الأقران:

أ - فوائد معرفة رواية الأقران والمدبج:

تتمثل في أمور علمية كثيرة منها ما يتعلق بـ:

أأ - الإسناد حيث يتم التمييز بين العطف على الشيوخ بحرف(و)، أو العطف مع الشك (فلانا أو فلان)، ورواية القرين عن قرينه بـ(عن) وعدم إبدالها بالواو. قال السيوطي رحمه الله: "ومن فوائد معرفة هذا النوع أن لا يظن الزيادة في الإسناد أو إبدال عن بالواو"،[١٢] وقال مغيث: "وهو نوع مهم وفائدته ضبطه الأمن من ظن الزيادة في الإسناد أو إبدال الواو بعن إن كان بالعنعنة".[١٣]

أب - معرفة ما تفيده العنعنة من الاتصال بين الأقران واحتمال الانقطاع بين غيرهم.

أج- واقع الحركة العلمية الحديثية: بمعرفة شيوخ الأقران ومروياتهم عنهم، وأوثق الأقران فيهم، وأكثره ملازمة لهم، وأعرفهم بهم جرحاً وتعديلاً، ونقلاً لأحوالهم، وأشد الأقران تأثراً بهم علماً ومسلكاً.

ب - من إيجابيات الأقران:

ب أ - الكتابة والسماع من الأقران: كان الإخلاص والصدق في طلب العلم والتواضع لله سمة غالبة على علاقة الأقران فيما بينهم، ينفع بعضهم بعضاً برواية ما سمعوه ونسخ ما كتبوه عن مشايخهم، قال معمر: "كان ابن جريج يأخذ بيدي فيذهب بي إلى منزله فيكتب عني

١٠ محمد بن إبراهيم بن جماعة (ت. ٧٣٣ ه)، *المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي*، تحقيق د.محي الدين رمضان، دمشق دار الفكر، ١٩٨٦/١٤٠٦م، الطبعة الثانية، ص:٧٣.

١١ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، *كتاب معرفة علوم الحديث*، ص. ٢٢٠.

١٢ السيوطي، *تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي*، ص. ٥١٠.

١٣ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، *فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي*، ص. ١٧٤-١٧٥.

وأكتب عنه"،[١٤] قال معمر "دخلت أنا وابن جريج مسجدا ومعي ألواح ومعه ألواح فجعل يكتب عني وأكتب عنه".[١٥]

وعد الحفاظ الكتابة عن الشيوخ والأقران ورواية الكبار عن الصغار من الوسائل الضرورية لتكوين شخصية العالم، فالضالة العلم والغاية تحصيله لنيل رضا الله والوسيلة، السعي في طلبه من أهله، قال عثمان بن أبي شيبة سمعت وكيعا يقول: "لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسنُ منه وممن هو دونه وممن هو مثله"،[١٦] قال علي بن خشرم: "سمعت وكيعاً يقول: لا يكون الرجل عالما حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو دونه وعمن هو مثله."[١٧]

ب ب - المذاكرة مع الأقران: المذاكرة مع الأقران إحدى الوسائل التي كان يستخدمها العلماء وطلبة العلم لمراجعة وضبط ما حفظوه في السطور أو الصدور، خوفاً من النسيان والوهم والخطأ، فقد التقى ابن أبي ليلى وعبد الله بن شداد بن الهاد فتذاكرا الحديث فقال أحدهما للآخر: "يرحمك الله، فرب حديث أحييته في صدري كان قد مات"،[١٨] وتحصل بالمذاكرة مع الأقران فوائد جديدة، قال الخليل بن أحمد: "ذاكر بعلمك تذكر ما عندك وتستفد ما ليس عندك"،[١٩] وكان كبار الحفاظ يتذاكرون الحديث مع من اختص بحديث صحابي، قال مسلم البطين: "رأيت أبا يحيى الأعرج وكان عالما بحديث ابن عباس اجتمع هو وسعيد بن جبير في مسجد الكوفة فتذاكرا حديث ابن عباس"،[٢٠] وقد يعتب على تلاميذ شيخ لا يتذاكرون في حديث شيخهم، قال أبو مسهر: "سمعت سعيد بن عبد العزيز يعاتب أصحاب الأوزاعي فقال: مالكم لا تجتمعون مالكم لا تتذاكرون".[٢١]

٤ - منهج الإمام الذهبي في التعامل مع جرح الأقران:

١٤ أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت. ٤٦٣/١٠٧٠)، *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*، تحقيق محمود الطحان، الرياض مكتبة المعرفة، ١٤٠٣/١٩٨٣، المجلد الثاني، ص. ٢١٦.

١٥ المرجع السابق، المجلد الثاني، ص. ٢١٦.

١٦ المرجع السابق، المجلد الثاني، ص. ٢١٦.

١٧ المرجع السابق، المجلد الثاني، ص. ٢١٦.

١٨ الخطيب البغدادي، *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*، ص. ٢٧٣.

١٩ المرجع السابق، المجلد الثاني، ص. ٢٧٣.

٢٠ المرجع السابق، المجلد الثني، ص. ٢٧٣.

٢١ المرجع السابق، المجلد الثني، ص. ٢٧٣.

سلك الإمام الذهبي منهجاً واضحاً في تعامله مع جرح الأقران، حيث ضمّن تراجم الأقران الذين وقع بينهم جرح تعقيبات وتعليقات تشكل في مجموعها قواعد مهمة للتعامل مع هذا النوع من الجرح، وقد تميز الذهبي بجودة تعليقاته المملوءة بالفوائد والفرائد، قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في مقدمة تحقيقه لكتاب الإمام الذهبي (المقدمة الموقظة): "إذ من المعروف أن كلام الذهبي دائما يتميز بالإفادات الغالية، والتحقيقات النفيسة والنكت العلمية البديعة"،[٢٢] وقد توصل الإمام الذهبي إلى هذه القواعد بسعة إطلاعه على تراجم الرواة، وتآليفه الموسوعية في علم الرجال كـ: *سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام وميزان الاعتدال وتذكرة الحفاظ* وغيرها، وما تميز به من عقلية ناقدة ناضجة وموسوعية، وسأبين أبرز ملامح منهج الإمام الذهبي في جرح الأقران في المباحث الآتية:

أ – النص في تراجم الرواة على أسباب جرح الأقران

إن الإمام الذهبي ينص في التراجم على أسباب جرح الأقران، وإذا عرف سبب الجرح- وهذا ما يسمى: بـ(الجرح المفسر)-، يكون الناقد على بينة في حكمه بقبول الجرح أو رده، وقد نبه الإمام الذهبي رحمه الله في عدة مواطن على أسباب الجرح بين الأقران، ومنها؛

أأ - ما يعتري النفوس البشرية من الحسد والبغضاء والتنازع والتدابر والتنافس المؤدي إلى الطعن في الأقران وجرحهم، خاصة إذا كانوا في بلد واحد وأصحاب مهنة واحدة أو تخصص واحد، قال الإمام الذهبي: "وقد عرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض نسأل الله السماح".[٢٣] وهذا السبب هو أكثر أسباب جرح الأقران شيوعاً وانتشاراً، ولم يسلم من حظوظ النفس إلا من عصمه الله، قال الإمام الذهبي رحمه الله تعقيباً على جرح الأقران الواقع بين الحافظ ابن صاعد[٢٤] والحافظ أبي بكر بن أبي داود[٢٥] رحمهما الله: "فان هؤلاء بينهم عداوة

٢٢ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي (ت. ٧٤٨ ه)، *الموقظة*، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، حلب مكتبة المطبوعات الأسلامية، ١٤٠٥، الطبعة الأولى، ص. ٥.

٢٣ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٤/١٩٩٤، الطبعة العاشرة، المجلد السابع عشر، ص. ٤٦٢.

٢٤ الإمام الحافظ الثقة الثبت أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد الكوفي (٢٢٨-٣١٨ ه)، انظر: الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، بيروت دار الكتب العلمية، بلا تاريخ ولا طبعة، المجلد الثاني، ص ٧٧٥، الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، بيروت دار الكتب العلمية، المجلد الرابع عشر، ص٧٣٣.

٢٥ عبد الرحمن بن سليمان بن الأشعث السجستاني (٣١٦ ه)، قال الدارقطني: ثقة إلا أنه كثير الخطأ في الكلام على الحديث. انظر: الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، المجلد التاسع، ص. ٤٦٨.

بينة، فقف في كلام الأقران بعضهم في بعض"،[٢٦] وهذا ما أكده الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: "قلت: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ولا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد، لا ينجو منه إلا من عصم الله وما علمت أن عصرا من الإعصار سلم أهله من ذلك سوى النبيين والصديقين، ولو شئت لسردت من ذلك كراريس، اللهم فلا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم".[٢٧]

ولم يقف التحاسد بين الأقران عند الطعن والجرح، بل أدى إلى الوشاية بالعلماء إلى الحكام وإيقاع الأذى النفسي والجسدي عليهم بسبب الوشاية، وهذا منكر منهي عنه شرعا لا يليق أن يقع من عامة الناس فكيف يقع من العلماء عفا الله عنهم؟!، لقد وقع التحاسد والتنافس بين تلاميذ الإمام الشافعي في مصر على من يخلف الشافعي في حلقته فترة مرضه، فلما نص الشافعي على أن خليفته في الحلقة الإمام البويطي (ت. ٣٢١ هـ)،[٢٨] سعى بعض أقران البويطي به- منهم: المزني وحرملة عفا الله عنهما- إلى والي مصر، فامتحن البويطي في مسألة خلق القرآن، ثم حمل إلى بغداد مكبلاً بالحديد، وبقي مسجونا فيها إلى أن توفي.[٢٩]

ونقل الإمام الذهبي كلام الخطيب البغدادي في دفاعه عن الإمام الشافعي- الذي حسد على ما ناله من علم وإمامة-: "ومثل الشافعي من حسد وإلى ستر معالمه قصد ويأبى الله إلا أن يتم نوره ويظهر من كل حق مستوره وكيف لا يغبط من حاز الكمال بما جمع الله له من الخلال اللواتي لا ينكرها إلا ظاهر الجهل أو ذاهب العقل".[٣٠]

أب - الخلاف العقدي بين المذاهب: كالحنابلة والأشاعرة والمعتزلة والقدرية- في مسائل تحتمل التأويل وتتنوع فيها الفهوم الاجتهادية، وقد بين الإمام الذهبي رحمه الله في عدة تراجم أن الخلاف العقدي كان أحد أسباب جرح الأقران، ومن الأمثلة على ذلك:

٢٦ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثاني، ص. ٧٧٢.

٢٧ ابن حجر، *لسان الميزان*، تحقيق دائرة المعارف النظامية الهند، بيروت مؤسسة الأعظمي، ١٤٠٦/١٩٨٦، الطبعة الثالثة، المجلد الأول، ص. ٢٠١.

٢٨ الامام الثقة الفقيه صاحب الشافعي يوسف بن يحيى البويطي المصري (ت. ٢٣١ هـ)، قال ابن حجر: ثقة فقيه. ابن حجر، *تقريب التهذيب*، تحقيق محمد عوامة، حلب دار الرشيد، ١٤١٢/١٩٩٢، الطبعة الرابعة، ترجمة رقم ٦٨٩٢. وانظر: الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، المجلد الرابع عشر، ص. ٢٩٩.

٢٩ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الحادي عشر، ص. ٤٣١-٤٣٢.

٣٠ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٥.

المثال الأول: جرح الإمام أحمد رحمه الله لهشام بن عمار السلمي الدمشقي[٣١] (ت. ١٥٣ هـ) حيث قال عنه: طياشا لا يصلى خلفه، لأمرين اثنين:

الأمر الأول: على كلمة تحتمل معنيين قالها هشام بن عمار، لكن الأولى اجتنابها أو تقييدها حتى لا تكون حجة لأصحاب الفرق الضالة، ولذلك عقب عليه الذهبي رحمه الله بقوله: "قلت أما قول الامام فيه: طياش. فلأنه بلغه عنه انه قال في خطبته: الحمد لله الذي تجلى لخلقه بخلقه. فهذه الكلمة لا ينبغي إطلاقها وإن كان لها معنى صحيح، لكن يحتج بها الحلولي والاتحادي، وما بلغنا انه سبحانه وتعالى تجلى لشيء إلا بجبل الطور فصيره دكا، وفي تجليه لنبينا صلى الله عليه وسلم اختلاف أنكرته عائشة وأثبته ابن العباس، وبكل حال كلام الأقران بعضهم في بعض يحتمل، وطيه أولى من بثه إلا أن يتفق المتعاصرون على جرح شيخ فيعتمد قولهم والله أعلم".[٣٢]

وقال الذهبي رحمه الله في ميزان الاعتدال كذلك:"قلت: لقول هشام اعتبار ومساغ، ولكن لا ينبغي إطلاق هذه العبارة المجملة وقد سقت أخبار أبي الوليد رحمه الله في تاريخي الكبير وفي طبقات القراء أتيت فيها بفوائد وله جلالة في الإسلام وما زال العلماء الأقران يتكلم بعضهم في بعض بحسب اجتهادهم وكل أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم".[٣٣]

الأمر الثاني: مسألة التلفظ بالقرآن وترتيله بأصوات المخلوقين، فالإمام أحمد يرى عدم الخوض في مثل هذه المسائل المحدثات، ويرى أن ذلك من علامات الجهمية المعتزلة، قال الإمام الذهبي: "وقال أبو بكر المروذي في كتاب القصص: ورد علينا كتاب من دمشق سل لنا أبا عبد الله فان هشاما قال: لفظ جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن مخلوق، فسألت أبا عبد الله فقال: أعرفه طياشا لم يجتر الكرابيسي أن يذكر جبريل ولا محمدا هذا قد تجهم في كلام غير هذا".[٣٤]

٣١ العلامة المحدث الصدوق، خطيب دمشق ومقرؤها ومحدثها هشام بن عمار السلمي الدمشقي(١٥٣-٢٤٥ هـ). انظر: ابن حجر، *تقريب التهذيب*، ترجمة رقم ٧٣٠٣. وانظر: الذهبي، *الكاشف*، تحقيق محمد عوامة، جدة دار القبلة للثقافة، ١٤١٣/١٩٩٢م، الطبعة الأولى، المجلد الثاني، ص٣٣٧

٣٢ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الحادي عشر، ص. ٤٣١- ٤٣٢

٣٣ الذهبي، *ميزان الاعتدال* في نقد الرجال، المجلد السابع، ص. ٨٧.

٣٤ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الحادي عشر، ص. ٤٣١-٤٣٢.

المثال الثاني: الإمام البويطي، وامتحان والي مصر له في قضية خلق القرآن بوشاية من أقرانه، قال الذهبي رحمه الله: "فامتحنه فلم يجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدي بي مائة ألف ولا يدرون المعنى، قال: وقد كان أمر أن يحمل إلى بغداد في أربعين رطل حديد، قال الربيع: وكان المزني ممن سعى به وحرملة... ومات الإمام البويطي في قيده مسجونا بالعراق في سنة (ت. ٢٣١ هـ)".[٣٥]

المثال الثالث: الخلاف العقدي بين أبي نعيم الأشعري[٣٦] (ت. ٤٣٠ هـ) وابن مندة الحنبلي.[٣٧]

قال الإمام الذهبي تعقيبا على ذلك: "قلت: كان أبو عبد الله بن مندة يقذع في المقال في أبي نعيم لمكان الاعتقاد المتنازع فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن، ونال أبو نعيم أيضا من أبي عبد الله في تاريخه، وقد عرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض نسأل الله السماح".[٣٨]

أج - الخلاف الفقهي بين المجتهدين على ما بنوا عليه أصول مذاهبهم، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: تقديم الإمام مالك عمل أهل المدينة على خبر الآحاد، ويرى أئمة آخرون تقديم خبر الآحاد على عمل أهل المدينة ولكل حجته الإمام الذهبي في ترجمة الإمام مالك في عدم أخذه بحديث خيار المجلس، واعتراض ابن أبي ذئب[٣٩] وقوله إن لم يأخذ به يعرض على السيف، قال الذهبي: "فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث لأنه رآه منسوخا، وقيل: عمل به وحمل قوله حتى يتفرقا على التلفظ بالإيجاب والقبول، فمالك في هذا الحديث وفي كل حديث له أجر ولا بد، فإن أصاب ازداد أجرا آخر، وإنما يرى السيف على من أخطأ في

٣٥ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الثاني عشر، ص. ٦١.

٣٦ أبو نعيم عبيد الله بن الحسن بن أحمد الأصفهاني (٤٦٣ -٥١٧ هـ). انظر: الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الرابع، ص١٢٦٥.

٣٧ الإمام المحدث أبي إسحاق محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة (ت. ٤٧٠ هـ)، الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الثامن عشر، ص. ٣٤٩.

٣٨ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد السابع عشر، ص. ٤٦٢.

٣٩ الإمام الحافظ الثقة المشهور محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب القرشي أبو الحارث (٨٠-١٥٩ هـ)، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري (ت. ٢٥٦ هـ) *التاريخ الكبير*، تحقيق هاشم الندوي، بيروت دار الفكر، المجلد الأول، ص. ١٥٢. وابن حجر العسقلاني، *تعجيل المنفعة*، تحقيق إكرام الله إمداد الله، بيروت دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، المجلد الأول، ص. ٥٤٩.

اجتهاده الحرورية".[٤٠]

المثال الثاني: تحامل المالكية في مصر على الإمام الشافعي لمخالفته مالك في عدة مسائل، حيث كانوا يعدونه تلميذا لمالك رضي الله عنهما. حيث تعرض الإمام الشافعي في مصر إلى جرح من أقرانه المالكية كان سببه مخالفة الإمام الشافعي لبعض الفروع من مذهب مالك بدلائل السنة وخاصة في المسائل التي يقدم فيها مالك عمل أهل المدينة على خبر الآحاد.

قال الذهبي "وقد كنت وقفت على بعض كلام المغاربة في الإمام رحمه الله، فكانت فائدتي من ذلك تضعيف حال من تعرض إلى الإمام والله الحمد، ولا ريب أن الإمام لما سكن مصر وخالف أقرانه من المالكية ووهى بعض فروعهم بدلائل السنة، وخالف شيخه في مسائل تألموا منه ونالوا منه وجرت بينهم وحشة غفر الله للكل وقد اعترف الإمام سحنون وقال: لم يكن في الشافعي بدعة. فصدق والله فرحم الله الشافعي وأين مثل الشافعي؟ والله في صدقه وشرفه ونبله وسعة علمه وفرط ذكائه ونصره للحق وكثرة مناقبه رحمه الله تعالى".[٤١]

ب - قواعد الإمام الذهبي في التعامل مع جرح الأقران بين الصحابة:

نبه الإمام الذهبي على خلاصة فكر أئمة أهل السنة في التعامل مع الجرح الواقع بين الأقران من الصحابة ومن لابس الفتن منهم خاصة، فلا يتعامل معهم كآحاد الرواة بل لهم سابقة في الإسلام وفضل على عموم المسلمين، وهذا الفكر قائم على عدة قواعد هي:

ب أ - الكف عن الحديث فيه، لأن إثارته والخوض فيه يسيء إلى جميع الصحابة أو بعضهم ولا ينبني عليه عمل، قال الذهبي رحمه الله: " كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين".[٤٢]

ب ب- أن كثيرا من الروايات عما شجر بين الصحابة داخله الكذب والتعصب المذهبي والسياسي، قال رحمه الله: "وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ولكن أكثر

٤٠ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد السابع، ص. ١٤٣.

٤١ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٥.

٤٢ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٢.

ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب".[٤٣]

ب ج - طي ما شجر بين الصحابة حتى لا يكون الحديث فيه سببا لمزيد من النزاعات وتعكير الصفو بين المسلمين، وذلك أدعى إلى توقير الصحابة وتعظيمهم والترضي عنهم، قال الذهبي رحمه الله: "... فينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه لتصفو القلوب وتتوافر على حب الصحابة والترضي عنهم".[٤٤]

ب د: عدم إثارة ما شجر بين الصحابة أمام عوام الناس، لأن إثارته يحط منزلة الصحابة عند عوام المسلمين، وربما تجرؤا على مقامهم بالطعن واللعن، وقد يتخذه بعض المغرضين وسيلة للمروق من تعاليم الدين، ولذلك قال الذهبي رحمه الله: "وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء".[٤٥]

ب ر: المتخصص الذي أهله اختصاصه في دراسة ما شجر بين الصحابة يشترط فيه: أن يكون عالماً بدراسة المرويات ناقدا للإسناد والمتن منصفاً غير متحيزٍ أو متعصبٍ أو مبغضٍ أو صاحب مذهبٍ سياسي أو عقدي يحول ذلك بينه وبين قول الحق وبيانه وأخذ العبرة والعظة، حافظاً لقدر الصحابة ومنزلتهم بالترضي عنهم والاستغفار لعمومهم، لأنه لا معصوم إلا وحي منزل أو نبي أو رسول مرسل، قال الذهبي رحمه الله موجزاً ذلك: "وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى".[٤٦]

ج - منهج الإمام الذهبي في التعامل مع جرح الأقران من غير الصحابة:

ج أ: الإنصاف في إنزال القرينين المنزلة التي يستحقانها جرحا وتعديلا، ويبين أن كلام القرين في قرينه يؤثر إن صدر من إمام استفاضت إمامته، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: ما ذكره الذهبي في ترجمة الحافظ مطين[٤٧] وجرح ابن شيبة[٤٨] له، قال: "فلا

٤٣ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٢.

٤٤ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٢.

٤٥ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٢.

٤٦ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٢.

٤٧ الإمام الثقة مطين، محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي(٢٠٢-٢٩٢ هـ)، قال الدارقطني: ثقة جبل. انظر: ابن حجر، *لسان الميزان*، المجلد الخامس، ص. ٢٣٣. وانظر: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت. ٣٢٧ هـ)، الجرح والتعديل، بيروت دار إحياء التراث ١٢٧١/١٩٥٢، الطبعة الأولى، المجلد السابع، ص. ٢٩٨.

يلتفت إلى كلام الأقران بعضهم في بعض وبكل حال فمطين ثقةٌ مطلقاً، وليس كذلك العبسي".[٤٩]

المثال الثاني: في ترجمة الحافظ المفسر أبي عبد الله بن حاتم بن ميمون البغدادي المعروف بابن السمين[٥٠] (ت. ٢٣٥ هـ)، والذي وثقه ابن عدي والدر اقطني وغيرهما، قال الذهبي: "وذكره أبو حفص الفلاس[٥١] فقال: ليس بشيء، قلت: هذا من كلام الأقران الذي لا يسمع فإن الرجل ثبت حجة".[٥٢]

المثال الثالث: في ترجمة أبي بكر بن أبي داود وما وقع بينه وبين ابن صاعد من جرح الأقران قال الذهبي: "وقد ذكرنا مخاصمة بينه وبين ابن أبي داود وحط كل واحد منهما على الآخر في ترجمة ابن أبي داود، ونحن لا نقبل كلام الأقران بعضهم في بعض وهما بحمد الله ثقتان".[٥٣]

ج ب - حرص الإمام الذهبي رحمه الله على ذكر الجرح بين الأقران مفسَراً، وذلك لأسباب منها:

السبب الأول: قد يكون جرح القرين لقرينه بما لا يعد عند النقاد جرحا:

ومثاله: جرح ابن أبي شيبة للحافظ مطين لأنه وقع في ثلاثة أوهام، ومطين من حفاظ عصره ونقاد بلده فلا ينكر عليه أن يهم في ثلاثة أحاديث من محفوظاته التي بلغت عشرات الآلاف، قال الذهبي عن ابن أبي شيبة: "وعدد له نحوا من ثلاثة أوهام فلا يلتفت إلى كلام الأقران بعضهم في بعض وبكل حال فمطين ثقة مطلقا".[٥٤]

٤٨ الإمام الصدوق أبو بكر محمدد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة البغدادي (ت. ٢٦٢ هـ) الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الخامس عشر، ص. ٣١٢.

٤٩ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثاني، ص. ٦٦٢.

٥٠ الإمام الحافظ محمد بن حاتم بن ميمون البغدادي أبو عبد الله البغدادي ابن السمين (ت. ٢٣٥ هـ) قال ابن حجر: صدوق ربما يهم، وقال الدارقطني: ثقة. وانظر: الخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، المجلد الثاني، ص٢٦٦، وانظر: ابن حجر، *تقريب التهذيب*، ترجمة رقم ٥٧٩٣.

٥١ الإمام الحافظ الثقة عمرو بن علي بن بحر الفلاس البصري (ت. ٢٤٠ هـ) قال ابن حجر : ثقة حافظ . انظر: ابن حجر، *تقريب التهذيب*، ترجمة رقم ٥٠٨١، عبد الله بن محمد الأنصاري (ت. ٣٦٩ هـ)، طبقات المحدثين بأصبهان، تحقيق عبد الغفور البلوشي، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤١٢- ١٩٩٢، الطبعة الأثانية، المجلد الثاني، ص١٩٢

٥٢ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الحادي عشر، ص. ٤٥١.

٥٣ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الرابع عشر، ص. ٥٠٥.

٥٤ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثاني ص :٦٦٢.

السبب الثاني: أن جرح الأقران منه ما هو صادر عن حظ نفس ومنافرة وعداوة، وقد وضع الإمام الذهبي قاعدة لذلك بقوله: "كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه بل يطوى ولا يروى"،[٥٥] ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: ما ساقه الذهبي في ترجمة الحافظ مطين حيث:"حط عليه محمد بن عثمان بن أبي شيبة وحط هو على ابن أبي شيبة وآل أمرهما إلى القطيعة ولا يعتد بحمد الله بكثير من كلام الأقران بعضهم في بعض".[٥٦]

المثال الثاني: ما ساقه الذهبي في ترجمة أبي بكر بن أبي داود، قال الذهبي: "قلت لا ينبغي سماع قول ابن صاعد فيه، كما لم نعتد بتكذيبه لابن صاعد، وكذا لا يسمع قول ابن جرير فيه، فان هؤلاء بينهم عداوة بينة فقف في كلام الأقران بعضهم في بعض".[٥٧]

المثال الثالث: وكذلك ما ذكره الذهبي عند حديثه عن المنافرة التي حدثت بين الإمام مالك وابن أبي ذئب رحمهما الله قال الذهبي:"وبكل حال فكلام الأقران بعضهم في بعض لا يعول على كثير منه فلا نقصت جلالة مالك بقول ابن أبي ذئب فيه ولا ضعف العلماء ابن أبي ذئب بمقالته هذه بل هما عالما المدينة في زمانهما رضي الله عنهما ولم يسندها الإمام أحمد فلعلها لم تصح".[٥٨]

ج ج - الجرح الواقع بين الأقران إن صدر عن إمام عادل منصف يقبل الجرح، أما إن صدر عن غير منصف أو عن حسد وظلم وهوى فهو مردود، قال الذهبي رحمه الله مقرراً ذلك: "كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه بل يطوى ولا يروى"،[٥٩] وقال في موطن آخر: "فينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه لتصفو القلوب".[٦٠]

ج د - بين أن كلام القرين في قرينه يؤثر إن صدر من إمام استفاضت شهرته وإمامته، ولا يؤثر في ذلك الإمام جرح قرين له نزلت رتبته عن قرينه في الضبط والاشتهار بالإمامة

٥٥ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٢.

٥٦ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثاني، ص. ٦٦٢

٥٧ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثاني، ص. ٧٧٢

٥٨ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد السابع، ص. ١٤٣.

٥٩ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٢.

٦٠ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد العاشر، ص. ٩٢.

والفضل، وقد عقب الذهبي على ما وقع بين مالك وابن إسحاق[٦١] (ت. ١٥٠ هـ) رحمهما الله من جرح فقال:"وهذان الرجلان كل منهما قد نال من صاحبه لكن أثر كلام مالك في محمد بعض اللين ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة وارتفع مالك وصار كالنجم فله ارتفاع بحسبه ولا سيما في السير وأما في أحاديث الأحكام فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن إلا فيما شذ فيه فإنه يعد منكرا، هذا الذي عندي في حاله والله أعلم".[٦٢]

ج ر - إذا كان القرينان إمامان متقاربان في العلم والثقة والفضل لا يقبل جرح أحدهما للأخر، ومثاله: ما عقب به الذهبي على كلام مكحول الشامي[٦٣] (ت. ١١٨ هـ)في حق رجاء بن حيوة[٦٤] (ت. ١١٢ هـ)حيث: "قال مكحول: ما زلت مضطلعا على من ناوأني حتى عاونهم علي رجاء بن حيوة، وذلك أنه كان سيد أهل الشام في أنفسهم، قلت: كان ما بينهما فاسدا وما زال الأقران ينال بعضهم من بعض، ومكحول ورجاء إمامان فلا يلتفت إلى قول أحد منهما في الآخر".[٦٥]

ج س - يرى الإمام الذهبي أن اتفاق النقاد على رد جرح قرين لقرينه، دليل على أن الجرح صادر عن هوى أو عداوة، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: رأى الإمام الذهبي أن رد النقاد المنصفين لجرح ابن أبي شيبة لبلديه وقرينه مطين، سبب مقنع في رده هو لذلك الجرح: قال الذهبي:"قلت: مطين وثقه الناس وما أصغوا إلى ابن أبي شيبة".[٦٦]

المثال الثاني: قال الذهبي بعد ذكره لما كان بين مالك وابن إسحاق رحمهما الله من جرح الأقران: "وقد علم أن كثيرا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، ولا سيما إذا

٦١ محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المدني (ت. ١٥٠ هـ)، إمام صدوق يدلس رمي بالتشيع والقدر.انظر: الذهبي، *الكاشف*، المجلد الثاني، ص١٥٦. وابن حجر، *تقريب التهذيب*، ترجمة رقم ٥٧٢٥. والخطيب البغدادي، *تاريخ بغداد*، المجلد الثاني، ص٢٦٦، المجلد الأول، ص ٢١٤ .

٦٢ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد السابع، ص. ١١٠.

٦٣ التابعي الثقة الفقيه مكحول الشامي (ت. ١١٨ هـ)، قال ابن حجر: ثقة فقيه فقيه كثير الإرسال مشهور.انظر: ابن حجر، *تقريب التهذيب*، تحقيق محمد عوامة، حلب دار الرشيد، ١٤١٢ - ١٩٩٢، الطبعة الرابعة، ترجمة رقم، ٦٨٧٥. ومحمد بن سعد الزهري (ت. ٢٢٠ هـ) *الطبقات الكبرى*، بيروت دار صادر، المجلد السابع، ص. ٤٥٣.

٦٤ التابعي الإمام الثقة الفقيه الزاهد رجاء بن حيوه السكسكي أبو المقدام (١١٢ هـ) قال ابن حجر: ثقة فقيه، *الجرح والتعديل* المجلد الثالث، ص. ٥٠١. ابن حجر، *تقريب التهذيب*، ترجمة رقم. ١٩٢٠.

٦٥ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الرابع، ص. ٥٨٥.

٦٦ الذهبي، *ميزان الاعتدال* في نقد الرجال، المجلد السادس، ص. ٢١٥.

وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف".[٦٧]

المثال الثالث: وعقب الذهبي على قول الإمام أحمد في هشام بن عمار: كان طياشا لا تصح الصلاة خلفه: "وبكل حال كلام الأقران بعضهم في بعض يحتمل وطيه أولى من بثه إلا إن يتفق المتعاصرون على جرح شيخ فيعتمد قولهم والله أعلم، وقال أبو بكر المروذي في كتاب القصص ورد علينا كتاب من دمشق سل لنا ابا عبدالله فان هشاما قال لفظ جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن مخلوق فسألت أبا عبدالله فقال: أعرفه طياشا لم يجتر الكرابيسي أن يذكر جبريل ولا محمدا هذا قد تجهم في كلام غير هذا".[٦٨]

المثال الرابع: وفي ترجمة العلامة الحافظ أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري،[٦٩]، قال الذهبي: "صاحب التصانيف عدل صادق فيما علمت إلا ما قال فيه مسلمة بن قاسم الأندلسي: كان لا يحسن الحديث، ونسب إلى العقيلي أنه كان يحمل عليه وينسبه إلى الكذب ... ولا عبرة بقول مسلمة، وأما العقيلي فكلامه من قبيل كلام الأقران بعضهم في بعض، مع أنه لم يذكر في كتاب الضعفاء وقال أبو الحسن القطان لا يلتفت إلى كلام العقيلي فيه".[٧٠]

ج ص - إذا اتفق الأقران المتعاصرون على جرح أحد أقرانهم فإن قولهم فيه يعتمد، **ومثاله**: رد الذهبي جرح أحمد بن حنبل لهشام بن عمار رحمهما الله، قال:"وبكل حال كلام الأقران بعضهم في بعض يحتمل وطيه أولى من بثه إلا أن يتفق المتعاصرون على جرح شيخ فيعتمد قولهم والله أعلم".

ج ط - إن وجد لجرح القرين لقرينه متابعا من أقوال النقاد نظر في ذلك الجرح، وإن لم نجد له متابعا لا ينظر إليه ولا يعتد به، **ومثاله**: ما ذكره الذهبي من جرح الأقران بين يحيى بن أبي كثير وقتادة وكلاهما إمامان، فقال معقبا على ذلك: "قلت: كلام الأقران يطوى ولا يروى فإن ذكر تأمله المحدث فإن وجد له متابعا وإلا أعرض عنه".[٧١]

٦٧ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد السابع، ص. ٤٠.

٦٨ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الحادي عشر، ص. ٤٣٢.

٦٩ الحافظ العلامة الفقيه محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري(٣١٠ هـ). الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثالث، ص. ٧٨٢.

٧٠ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المجلد السادس، ص. ٣٨-٣٩.

٧١ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الخامس، ص. ٢٧٥-٢٧٦.

ج ع - إذا اعتمد أحد الأقران في جرحه لقرينه على جرح غير مفسر لأحد النقاد، وحال المجروح من الثقة ما ينفي ذلك الجرح عنه فإن الجرح لا يقبل، لأن القرين لما عجز عن جرح قرينه لجأ إلى أقوال النقاد ليجرح قرينه، ومثاله: أن أبا داود قال: "ابني عبد الله كذاب، ثم قال ابن عدى: وكان ابن صاعد يقول: كفانا أبوه بما قال فيه"، وابن أبي داود من الحفاظ الثقات لم يعرف عنه الكذب، فتساءل الذهبي -إذ لم يجد من الأئمة من كذب ابن أبي داود (ت. ٣١٦ هـ) أو اتهمه بالكذب- فقال: "على ماذا بنى أبو داود تكذيبه لابنه، وأما كلام أبيه فيه فلا أدري أيش تبين له منه".[٧٢]

ج ف - التشكيك في صحة نسبة الجرح المنقول، ومن الأمثلة عليه:

المثال الأول: قال الذهبي رحمه الله تعقيباً على تكذيب أبي داود لابنه أبي بكر: "وأما قول أبيه فيه فالظاهر أنه إن صح عنه فقد عنى أنه كذاب في كلامه لا في الحديث النبوي ".[٧٣]

المثال الثاني: قال الذهبي رحمه الله تعقيبا على قول ابن أبي ذئب في مالك رضي الله عنهما يستتاب وإلا ضربت عنقه في رده حديث البيعان بالخيار: "ولم يسندها الإمام أحمد فلعلها لم تصح".[٧٤]

ج ق - تأويل سبب الجرح إذا كان المجروح إماما شهد له النقاد بالثقة، ثم ذكر فيه جرح غير مفسر، فإن الذهبي رحمه الله يلجأ إلى تأويل الجرح، أو سبب الجرح:

المثال الأول: تأويل جرح أبي داود لابنه أبي بكر، قال الذهبي: "وأما قول أبيه فيه فالظاهر أنه إن صح عنه فقد عنى أنه كذاب في كلامه لا في الحديث النبوي وكأنه قال هذا وعبد الله شاب طرى ثم كبر وساد".[٧٥]

المثال الثاني: تأويل سبب الجرح: وهو عبارة موهمة مجملة تفهم على عدة وجوه الأسلم عدم إطلاقها مجملة، فقد جرح الإمام أحمد هشام بن عمار لعبارة جاءت في كتاب له: "أنه قال في خطبته: الحمد الله الذي تجلى لخلقه بخلقه، فسألت أبا عبد الله، فقال: هذا جهمي الله

٧٢ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثاني، ص. ٧٢٢.

٧٣ المرجع السابق، المجلد الثاني، ص. ٧٧٢.

٧٤ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد السابع، ص. ١٤٣.

٧٥ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثاني، ص. ٧٧٢.

تجلى للجبال، يقول هو: تجلى لخلقه بخلقه، إن صلوا خلفه فليعيدوا الصلاة، قلت: لقول هشام اعتبار ومساغ، ولكن لا ينبغي إطلاق هذه العبارة المجملة، وقد سقت أخبار أبي الوليد رحمه الله في تاريخي الكبير وفي طبقات القراء أتيت فيها بفوائد وله جلالة في الإسلام، وما زال العلماء الأقران يتكلم بعضهم في بعض بحسب اجتهادهم وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم".[٧٦]

ج **ك** - إن وجد لجرح القرين لقرينه متابعا من أقوال النقاد نظر في ذلك الجرح، وإن لم نجد له متابعا من أقوال النقاد المنصفين لا ينظر إليه ولا يعتد به، ومثاله: ما ذكره الذهبي قال: "ذكر يحيى بن أبي كثير[٧٧] عند قتادة، فقال: متى كان العلم في السماكين، فذكر قتادة عند يحيى فقال: لا يزال أهل البصرة بشر ما كان فيهم قتادة، قلت: كلام الأقران يطوى ولا يروى فإن ذكر تأمله المحدث فإن وجد له متابعا وإلا أعرض عنه".[٧٨]

ج **ل** - إن أئمة الجرح والتعديل غير معصومين من الوقوع في الغلط وحظوظ النفس، قال الإمام الذهبي رحمه الله : "قلت لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة، وقد علم أن كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، ولا سيما إذا وثق الرجل جماعة يلوح على قولهم الإنصاف"،[٧٩] وقال الإمام الذهبي: "وما زال العلماء الأقران يتكلم بعضهم في بعض بحسب اجتهادهم وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم".[٨٠]

ج **م** - إذا جرح ناقد أحد أقرانه لم يذكره في مصنف جمعه في المجروحين دل ذلك على أنه من جرح الأقران الصادر عن حسد وتنافس، ومثاله ما جرح العقيلي[٨١] (ت. ٣٣٢ هـ) به محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري[٨٢] (ت. ٣١٨ هـ)، قال الذهبي: " وأما العقيلي فكلامه

٧٦ الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المجلد السابع، ص. ٨٧.

٧٧ الإمام الحافظ الثبت يحيى بن أبي كثير اليمامي، أبو نصر الطا ئي (ت. ٢٢٩ هـ)، قال أبو حاتم : ثقة إمام لا يروي إلا عن ثقة. *لسان الميزان*، المجلد السابع، ص٤٣٦، ابن حجر، *تقريب التهذيب*، ترجمة رقم ٧٦٣٢، وانظر: الذهبي، *الكاشف*، المجلد الثاني، ص. ٣٧٣.

٧٨ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الخامس، ص. ٢٧٥-٢٧٦.

٧٩ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد السابع، ص. ٤٠-٤١.

٨٠ الذهبي، *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، المجلد السابع ص. ٨٧.

٨١ الإمام الحافظ محمد بن عمر و بن موسى العقيلي أبو جعفر (ت. ٣٢٢ هـ). انظر الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثالث، ص. ٨٣٣.

٨٢ الحافظ العلامة الفقيه محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (٣١٠ هـ). الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، المجلد الثالث، ص. ٧٨٢.

من قبيل كلام الأقران بعضهم في بعض، مع أنه لم يذكر في كتاب الضعفاء وقال أبو الحسن القطان:[٨٣] لا يلتفت إلى كلام العقيلي فيه".[٨٤]

ج **ن** - يرى الإمام الذهبي رحمه الله أن الراوي إذا احتج به الأئمة في كتب السنة فإنه لا يؤثر فيه جرح الأقران، قال الذهبي: "قال جرير عن مغيرة: ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحاق (ت. ١٢٧ هـ)...، قلت: لا يسمع قول الأقران بعضهم في بعض وحديث أبي إسحاق محتج به في دواوين الإسلام".[٨٥]

ج **ه** - طي كلام الأقران وعدم نشره وسيلة إلى صفاء النفوس ونقاء الصدور من الغل والحقد والبغضاء، إذ لا ينبني على نشره مصلحة شرعية، بل ربما كان سبباً في الإساءة من الجهلة لمقام العلماء، وذريعة عند من لا يفقه إلى المزيد من الفرقة بين المسلمين والتنازع بين علمائهم، قال الذهبي تعقيبا على ما نقله أبو جعفر الترمذي من كلام عن أن الإمام البويطي قال: "بريء الناس من دمي إلا ثلاثة: حرملة والمزني وآخر، قلت: استفق ويحك وسل ربك العافية، فكلام الأقران بعضهم في بعض أمر عجيب وقع فيه سادة فرحم الله الجميع"،[٨٦] قال الإمام الذهبي: "وقد عرف وهن كلام الأقران المتنافسين بعضهم في بعض نسأل الله السماح".[٨٧]

ج **و** - مقومات من هو أهل أن يعتمد قوله في الجرح والتعديل، قال الإمام الذهبي رحمه الله: "والكلام في الرواة يحتاج إلى ورع تام وبراءة من الهوى والميل' وخبرة كاملة بالحديث وعلله ورجاله".[٨٨]

٥ - الخاتمة

توصلت في ختام هذا البحث إلى جملة من النتائج، هي:

٨٣ الإمام العلامة الناقد الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الفاسي المالكي المعروف بابن القطان (ت. ٦٢٨ هـ)، الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الاثنين وعشرين، ص. ٣٠٦.

٨٤ الذهبي، *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، المجلد الثالث، ص. ٣٩.

٨٥ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد الخامس، ص. ٣٩.

٨٦ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق، المجلد الثاني عشر، ص. ٦١.

٨٧ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، المجلد السابع عشر، ص. ٤٦٢.

٨٨ الذهبي، *الموقظة*، ص. ٨٢.

أولاً: حماية النفس من الافتراء عليها والإساءة إليها معنويا قيمة إسلامية أصيلة.

ثانياً: ظاهرة جرح الأقران ظاهره إنسانية، وليست فقط بين الأقران من علماء الإسلام، دافعها حظوظ النفس كالتنافس والحسد والتعصب.

ثالثاً: الظاهرة السائدة في تراجم الأقران من علماء الإسلام: الأخوة والمودة والتعاون وسلامة الصدر، وظاهرة جرح الأقران نادرة جداً.

رابعاً: معرفة سبب الجرح بين الأقران يسهم في قبول الجرح أو رده.

خامساً: أعلم الناس بالراوي جرحاً وتعديلاً أقرانه الذين عايشوه، ويقبل جرحهم إن صدر عن علم وإنصاف بلا حظ من حظوظ النفس.

سادساً: تميز علماء الجرح والتعديل بمنهج علمي واضح قويم، ينقد الراوي -جرحاً وتعديلاً- بدون تحيز أو تعصب، ويتحرى دقة آراء النقاد وصوابها.

"منهج الإمام الذهبي في التعامل مع جرح الأقران"

ملخص: يركز البحث الحديث عن منهج الإمام الذهبي رحمه الله (م. ١٣٧٤/٧٤٨) في التعامل مع جرح الأقران من خلال تعليقاته وتعقيباته في كتبه على تراجم الرواة الذين وقع بينهم جرح أقران، وقد تبين من خلال تتبع تلك التعقيبات أن الإمام الذهبي رحمه الله يحرص على ذكر سبب جرح الأقران لبعضهم، فإذا تبين أن سبب الجرح الحسد أو التنافس أو التعصب المذهبي بين الأقران كان الذهبي يرد الجرح، أما إن كان جرح القرين لقرينه وقع من عالم عدل منصف فإن الجرح يقبل، وقد أبرز البحث خمس قواعد اعتمدها الإمام الذهبي في تعامله مع ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم وما وقع بينهم من جرح تشكل فكر أهل السنة في هذا الموضوع، ثم خلص البحث إلى ست عشرة قاعدة لتعامل مع جرح الأقران- من غير الصحابة- التزمها الذهبي في تعليقاته على تراجم الرواة الذين وقع بينهم جرح أقران، وهذه القواعد تشكل منظومة قيمية أخلاقية تخدم علم الجرح والتعديل بشكل خاص، وعلم الأخلاق والسلوك بشكل عام.

عطف: محمود أحمد رشيد، "منهج الإمام الذهبي في التعامل مع جرح الأقران"، مجلة بحوث الحديث، المجلد السادس، العدد الثاني، ٢٠٠٨، ص. ؟؟-؟؟.

كلمات المفتاح: الذهبي، الأقران، المدبج، الجرح والتعديل، الحديث، علم الرجال، نقد الحديث.

âdil, insaflı bir âlimden kaynaklanması durumunda ise kabul etmiştir. Bu araştırmayla, ez-Zehebî'nin, sahâbîler arasında ortaya çıkan ve Ehl-i sünnet'in bu konudaki görüşünü de şekillendiren ihtilafları ele alışında yaklaşımının beş esasa dayandığı ortaya çıkmıştır. Çalışmada, sahâbe dışında, eserinde hayatlarına yer verdiği ve aralarında birbirine yönelik cerh bulunan râviler konusunda ise ez-Zehebî'nin takip ettiği akranların cerhi ile ilgili on altı esas tespit edilmiştir. Bu kaidelerin her biri genel itibariyle çok önemli ahlâkî değeri taşımakla birlikte, özellikle cerh ve ta'dîl ilmi açısından çok büyük bir kıymet taşımaktadır.

Atıf: Mahmud Ahmed Reşîd, "Menhecü'l-İmâm ez-Zehebî fi't-te'âmül me'a cerhi'l-akrân", *Hadis Tetkikleri Dergisi* (*HTD*), VI/2, 2008, ss. 81-100.

Anahtar Kelimeler: Zehebî, Akrân, Müdebbec, Cerh ve ta'dîl, Hadis, Ricâl ilmi, Nakdü'l-hadîs.